

## وقفات تربوية مع قصة جمل جابر (4-4)

بقلم : عبد الآخر حماد

2- كما أنه مما يلفت النظر أيضاً سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم لجابر : هل تزوجت بعد ؟ فإن هذا السؤال يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يبلغه خبر زواج جابر رضي الله عنه، ومعنى ذلك أن جابراً لم يبلغ في إعلان زواجه، إذ لو فعل ذلك لبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم خبر زواجه، ومن هنا استنبط بعض المعاصرين أن الاهتمام البالغ فيه في الدعوة إلى مجلس النكاح كما يفعل في زماننا ليس بمطلوب شرعاً، فإن جابراً تزوج امرأة ولم يدعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عرسه، ولم ينكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك، كما صح أنه صلى الله عليه وسلم رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة، فقال ما هذا؟ قال يا رسول الله إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب قال فبارك الله لك أو لم ولو بشاة<sup>(42)</sup> .

ومعنى ذلك أنه لم يدعُ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حفل زواجه حتى سألته النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(43)</sup> .

وهذا يبين ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من الوسطية والاعتدال في أمورهم كلها؛ فإنه رغم إن إشهار الزواج أمر مطلوب شرعاً، إلا أنهم كانوا يكتفون منه بما يحقق الغرض، لا كما يفعله كثير من المسلمين الآن من الإسراف والتبذير، والتنافس في إقامة الأعراس والولائم الكبيرة، وإعداد الأطعمة الكثيرة التي ربما كان مستقر أكثرها في النهاية حاويات المهملات .

ثالثاً : جابر بن عبد الله مثل في الفتوة والإيثار

---

(42) أخرجه البخاري (5155) ومسلم (1427) والترمذي (1094) والنسائي (128/6) وابن ماجه (1907) من حديث أنس بن مالك .

(43) انظر تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم للشيخ محمد تقي العثماني : (113/1).

في هذا الحديث كما قال الإمام النووي عند ذكره لفوائد هذا الحديث: (( فضيلة جابر في أنه ترك حظ نفسه من نكاح البكر، واختار مصلحة أخواته بنكاح ثيب تقوم بمصالحهن ))<sup>(44)</sup>. فقد كان يمكنه وهو شاب فتي أن يتزوج ببكرٍ يلاعبها وتلاعبه؛ كما قال له النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه أبى إلا أن يتزوج ثيباً، وقد علل ذلك بأن أباه قد استشهد يوم أحد وترك له بنات سبع أو تسع كما في بعض الروايات، فأراد أن يأتيهن بامرأة تقوم مقام الأم منهن، لا أن يأتي بفتاة صغيرة تكون كواحدة منهن؛ وليس ذلك مستغرب من صحابي كريم، لا سيما وأنه من الأنصار الذين كان الإيثار من أخص خصائصهم، وبه مدحهم الله تعالى في قرآنه حيث قال فيهم: ( والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) [الحشر: 9].

وإذا كان في تصرف جابر رضي الله عنه معنى الإيثار، وهو أن يؤثر المرء غيره بالشيء مع حاجته إليه، فإن فيه أيضاً معنى الفتوة التي من معانيها الإحسان إلى الخلق وكف الأذى عنهم وتحمل الأذى من أجلهم<sup>(45)</sup>، إذ حرص رضي الله عنه على الإحسان إلى أخواته، وإن لقي هو الضر والعنت .

ولقد تربي الصحابة بصفة عامة على معاني الفتوة والإيثار، وعلى درهم سار من بعدهم من أهل الدين والإيمان فضربوا في ذلك أمثلة طيبة، حتى كان الرجل منهم يبتلى بامرأة سيئة الخلق، فيقال: له أفلا تطلقها فيقول: أخشى أن أطلقها فيبتلى بها غيري، وذكر الإمام ابن القيم أن رجلاً تزوج بامرأة، فلما دخلت عليه رأى بها جدري، فقال: اشتكيت عيني، ثم قال: عميت، فبعد عشرين سنة ماتت، ولم تعلم أنه بصير، فقبل له في ذلك فقال: كرهت أن يجزئها رؤيتي لما بها، فقبل له: سبقت الفتيان<sup>(46)</sup>.

(44) شرح صحيح مسلم للنووي : (40/6) .

(45) انظر مدارج السالكين : (340/2).

(46) المرجع السابق : (342/2).

وقال ابن القيم أيضاً : ((ومن الفتوة التي لا تلحق : ما يذكر أن رجلاً نام من الحاج في المدينة، ففقد همياناً فيه ألف دينار، فقام فرعاً، فوجد جعفر بن محمد، فعلق به وقال : أخذت همياني، فقال : أي شيء كان فيه ؟ قال : ألف دينار، فأدخله داره، ووزن له ألف دينار، ثم إن الرجل وجد هميانه، فجاء إلى جعفر معتذراً بالمال، فأبى أن يقبله منه، وقال : شيء أخرجته من يدي لا أسترده أبداً)) (47).

(( وقد قيل لأبي عثمان النيسابوري : ما أرجى عملك عندك؟ قال كنت في صبوتي يجتهد أهلي أن أتزوج فأبى، فجاءتني امرأة فقالت : يا أبا عثمان إني قد هويتك، وأنا أسألك بالله أن تتزوجني، فأحضرت أباهما وكان فقيراً فزوجني وفرح بذلك، فلما دخلت إلي رأيتها عوراء عرجاء مشوهة، وكانت لمحبتها لي تمنعني من الخروج فأقعد حفظاً لقلبها، ولا أظهر لها من البغض شيئاً، وكأني على جمر الغضا من بغضها، فبقيت هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت، فما من عملي شيء هو أرجى عندي من حفظ قلبها)) (48).

هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(47) المرجع السابق : (343/2).

(48) صيد الخاطر ص: 338.